

ماذا يحدث بالضبط مما هو ضد "جماعة القطيع"؟

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD02613.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/06/02
السنة السادسة - العدد: 2102



مقدمة:

النقلة من الاكتفاء الذاتي والترابطات الثنائية إلى الانتماء إلى "الوعي الجمعي" نقلة من أدق وأهم ما يتميز به الوعي البشري على مسار تطوره حتى الآن، ويبدو أن العلاج الجمعي سوف يكون السبيل لتصحيح كثير من مفاهيم ما يسمى علم النفس الاجتماعي، أو حتى علم النفس الجمعي، ذلك أنني حين رحلت أبحث عن ما يسمى "ذات الجماعة" Group

Ego، فوجئت بأن ما يذكر في هذا الصدد أغلبه دراسات ومواصفات عن ما يمكن أن يسمى سيكولوجية العامة، أو سيكولوجية التجمعات أو سيكولوجية القطيع، وأخص بالذكر كتاب سيجموند فرويد عن علم النفس الاجتماعي وتحليل "الذات" Sigmund Freud: Group Psychology and the Analysis of the Ego 1922

والذي ذكر كثيرا عملا باكرا لجوستاف ليبون Gustave Le Bon and the Group، first published in 1895. Moscovici (1981) Mind tradition، المهم في كل هذا أن هذا التوجه كان غريبا بالنسبة لي حيث وصلني منه عكس ما نمارسه في العلاج الجمعي تماما، ذلك أنه وصلني أن التركيز في مثل هذه التخصصات كان على وصف ما يحدث من إلغاء التميز الفردي (أو العقل الفردي، أو الذكاء الفردي، أو التفرد الذاتي) لحساب تحريك جموعي تنويمي انفعالي نكوصي ضعيف الكف قصير النظر.

حين رحلت أتأمل هذه الصورة مع تقارب الاسم Group mind انتبهت إلى الفرق الشاسع حتى العكس بين ما نطلق عليه الوعي الجمعي Collective Consciousness، وهو الأسم الذي شديته (قبل أن اطلع على هذه الاستعمالات الباكرا) بـ "ذات الجماعة"، وإذا بالمسألة غير ذلك، ومن هنا وجدت لزاما على أن أبين طبيعة هذا الاختلاف بشكل مبدئي وأساسى وجوهري:

يبدو أنني حين اختلفت مع "يالوم" في اعتبار "التقليد" من العوامل العلاجية إلا بدرجة طفيفة مؤقتة وعابرة، كنت متوجسا من تصور أن هذا التقليد قد يفهم على أنه إسهام في تخليق الوعي الجماعي الذي أشرت إليه فرفضت التقليد كعامل إيجابي منبها إلى أن التقليد هو أقرب إلى غريزة القطيع التي أشرت إليها حالا في مقدمة هذه النشرة. ([1]) وهو ما لا يساهم في تكوين الوعي الجماعي إيجابيا.

يبدو أن العلاج الجمعد سوف يكون السبيل لتصحيح كثير من مفاهيم ما يسمى علم النفس الاجتماعي، أو حتى علم النفس الجمعد

حين اختلفت مع "يالوم" فك اعتبار "التقليد" من العوامل العلاجية إلا بدرجة طفيفة مؤقتة وعابرة، كنت متوجسا من تصور أن هذا التقليد قد يفهم على أنه إسهام فك تخليق الوعي الجمعد، فرفضت التقليد كعامل إيجابي منبها إلى أن التقليد هو أقرب إلى غريزة القطيع وهو ما لا يساهم فك تكوين الوعي الجمعد إيجابيا

نحن نتعامل فك هذا العلاج مع عدد من العقول لكل فرد، معا باحترام شديد، وتبادل محسوب، فك حين أن عقل الجماعة فك القطيع هو عقل واحد انفعالك بدائك غالبا

هذه الظاهرة التي وصفها "لى بون" هي ظاهرة نكوصية انفعالية (وليست حتى وجدانية) بدائية، وبالرغم من أنها توصف بوصف جماعى، وأحيانا بالعقل الجمعى بالذات، فإنها أبعد ما تكون عن موضوعية الواقع وعن النضج وعن التخطيط الهادف جميعا، وإن كانت لها وظيفة مرحلية فى السياسة وما إليها أحيانا، وفى مراحل معينة مما يسمى الثورة، وأيضا بالرغم من أنها تنتمى فى تفسيرها إلى فكر التطور، إلى أنها بالمواصفات السابقة هي أبعد ما يكون عن ما يجرى فى العلاج الجمعى، بل لعل العكس هو الصحيح، - كما ذكرنا - مما فصله على الوجه التالى:

(1) نحن نتعامل فى هذا العلاج مع عدد من العقول لكل فرد، معا باحترام شديد، وتبادل

محسوب، فى حين أن عقل الجماعة فى القطيع هو عقل واحد انفعالى بدائى غالبا

(2) حركية التعامل فى العلاج الجمعى هي فى جدل هذه العقول معا على مستويات مختلفة

ليست حتى قاصرة على التحليل التركيبى لإريك بيرن، وإنما هي تشمل أى مستوى متاح نعرف له

تسمية أو لا نعرف، فهي حركية إبداعية تلقائية تحسب بنتائجها التراكمية كما ذكرنا

(3) تفسير ما يجرى بلغة حركية الوعى على المستويات المتنوعة والمتساعدة والمتداخلة هو

من أصعب ما يكون، علما بأن تحديد أبعاد مفهوم الوعى نفسه ما زال من اصعب ما يكون أيضا

(4) إحياء ديالكتيك التطور، الذى وصفناه كآلية أساسية فى العلاج الجمعى، لا يعنى العودة إلى

مرحلة سابقة للتطور مثلما أشار فرويد ولى بون، وإنما العكس: أعنى أنه دفع مستويات الوعى

المتبادلة "إيقاعا"، أو المتراوحة "ذهابا وجيئة"، إلى المواجهة اشتمالا فجذلا، ليتخلق منها المستوى

الأرقى ما أمكن ذلك، فى حين أن التناقضات التى وصفت فى "العقل الجمعى" هي بمثابة تجاور

الأضداد بلا حركية وبلا منطق.

(5) التعامل مع الزمن فى العلاج الجمعى شديد الحيوية بالغ الحساسية، انطلاقا من التركيز فى

هنا والآن، بما يستتبع ذلك من استيعاب التغيرات الشديدة الضالّة لكنها فى نفس الوقت البالغة الدلالة

نوعيا، وكل هذا لا يرصد أولا بأول بقدر ما يتراكم ويستتج من النتائج، فى حين أن الزمن بالنسبة

لآلية نشاطات العقل الجمعى يتراجع إلى اللافاعلية، إذ تدور الدوائر المفرغة فى المحل مع انفعالات

الاستعادة نفسها طول الوقت.

(6) فى العلاج الجمعى تتأكد فردية كل فرد كلما انتمى أكثر إلى الوعى الجماعى المتكون فيما

بين أفراد الجماعة، بما يحقق مقولة وبينكون "أن تكون وحيدا مع" To be alone with، وهو ما

أشار إليه "يالوم" كأحد العوامل العلاجية ووافقته على ذلك، فى حين أنه فى حالة العقل الجماعى تنوب

شخصية الفرد فى الجماعة ويصبح رقما مكررا لا أكثر، كأنه صدى يتردد فى فراغ.

(7) فى العلاج الجمعى يتواصل نشاط حركية برنامج الدخول والخروج، من الذات إلى الوعى

الجمعى، وبالعكس، وفى كل رحلة تختلف نقط البداية والنهاية حتى لا تكون حركة فى المحل، أما فى

العقل الجمعى الجماهيرى فتتطلق الحركة مثل إعصار لا يعرف أحد مصدره فى كثير من الأحيان،

وتختفى معالم محتواه ولا يتراجع.

(8) فى العلاج الجمعى يتواصل أيضا برنامج "الإيقاع الحيوى"، فينشط المشارك فى بعض

مرحلة، ثم يبدو أنه توقف مستوعبا منتبها، وهو فى الحقيقة يتمثل ما وصل إليه، دون إعمال فكر

ظاهر، أو مراجعة عقلية، ثم ينشط من جديد، وهكذا، وعلى القائد أن يراعى هذا التناوب ما أمكن ذلك

دون التزام بتوقيت معين أو توزيع الوقت بشكل ملزم، فالنبض الذى يجرى يختلف طول دوراته من

حركية التعامل فى
العلاج الجمعى فى
جدل هذه العقول
معا على مستويات
مختلفة ليست حتى
قاصرة على التحليل
التركيبى لإريك بيرن،
وإنما هي تشمل أى
مستوى متاح نعرف له
تسمية أو لا نعرف

إحياء ديالكتيك التطور،
كآلية أساسية فى
العلاج الجمعى، لا
يعنى العودة إلى
مرحلة سابقة للتطور مثلما
أشار فرويد ولى بون،
وإنما العكس: أعنى أنه
دفع مستويات الوعى
المتبادلة "إيقاعا"، أو
المتراوحة "ذهابا وجيئة"،
إلى المواجهة اشتمالا
فجذلا، ليتخلق منها
المستوى الأرقى ما
أمكن ذلك

التعامل مع الزمن فى
العلاج الجمعى شديد
الحيوية بالغ الحساسية،
انطلاقا من التركيز فى
هنا والآن، بما يستتبع
ذلك من استيعاب
التغيرات الشديدة
الضالّة لكنها فى نفس
الوقت البالغة الدلالة
نوعيا

فى العلاج الجمعى
تتأكد فردية كل فرد
كلما انتمى أكثر إلى

الوعي الجماعي
المتكون فيما بين أفراد
الجماعة

فك حالة العقل

الجماعي تطوّر

شخصية الفرد فك

الجماعة ويصبح رقما
مكررا لا أكثر، كأنه

صداك يتردد فك

فراغ

فك العلاج الجماعي

يتواصل نشاط حركية
برنامج الدخول والخروج،
من الذات إلى الوعي
الجماعي، وبالعكس

فك العقل الجماعي

الجماعي فتطلق

الحركة مثل إعصار لا

يعرف أحد مصدره

فك كثير من الأحيان،

وتختلف معالم محتواه ولا

يتراجع.

فك العلاج الجماعي

يتواصل أيضا برنامج

"الإيقاع الحيوي"، فينشط

المشارك فك بعض

مرحلة، ثم يبدو أنه

توقف مستوعبا منتبها،

وهو فك الحقيقة يتمثل

ما وصل إليه، دون أعمال

فكر ظاهر، أو مراجعة

عقلنة، ثم ينشط من

جديد، وهكذا

أما فك العقل الجماعي

الجماعي فتتقلص

الحركة فك اتجاه

شخص إلى آخر، ومن مرحلة إلى مرحلة طول الوقت، أما في العقل الجماعي الجماهيري فتتقلص
الحركة في اتجاه الانقباض الدافع معظم الوقت ثم تتمدد بالقصور الذاتي فلا وقت للاستيعاب ولا
وقت للملء، فأين الإيقاع الحيوي؟

(9) في العلاج الجماعي ينشط الجدل الحيوي لاستيعاب ما يبدو متناقضا، من خلال آليات كثيرة،

على سبيل المثال لا الحصر، من خلال العكس، والجملة الناقصة، والألعاب، وحين يحضر قصدا
الشيء ونقيضه يتراجع التناقض ليس بحدوث حل وسط تلقى أو حتى توفيقى، وإنما بتوجه سهم
المتناقضين إلى هدف ثالث مشترك من خلال فاعليتهما معا من أكثر من وجه على أكثر من مستوى.

(10) في العلاج الجماعي ينسلخ أى شخص لأى فترة بعيدا عن الوعي الجماعي في عملية

مراجعة، أو مقاومة، أو حتى استراحة، ويعود حين يستطيع أو يقرر أو ينكشه القائد أو أحد الزملاء،
أو لا يعود، ولا يعتبر ذلك خيانة أو خيبة أو نقاعسا، في حين أنه في العقل الجماعي يكاد يعتبر من
يفعل ذلك ناشزا، أو عدوا، أو شادا، المهم أنه يُلفظ بطريقة ما من الجماعة سرا أو علانية.

وبعد

أتوقف الآن لأتساءل: بالله عليكم ما ذا يصل من كل ما سبق لواحد لم يره رأى العين أثناء

الممارسة، متديبا، أو حاضرا في الدائرة الأوسع متعلما؟ هل من المعقول أن متخصصا عاما يقرأ هذه
النقاط العشرة، بهذا الإيجاز، مهما كانت تصف الأمر الواقع، يصله منها ما يعاونه على القيام بهذا
النوع من العلاج؟

الإجابة عندي جاهزة وحاسمة وهي النفي.

طيب هل يحتاج من يمارس هذا العلاج أو يتدرب عليه إلى مثل هذا التنظير، وكيف يستفيد

منه؟

الإجابة عندي أن الإفادة ممكنة، بالمعنى العام الذى أشرت إليه في البداية: أن تكون دعما لما

يمارسه، وليست إرشادا مباشرا لما عليه أن يمارسه.

احترت بعد ذلك كيف أقدم عينات تبين بعض ما أشارت إليه هذه النقاط العشر كأمثلة؟ إن تقديم

ما جرى في جلسة ما، كما فعل باليوم في كتابه السالف الذكر وغيره، هو أمر وارد وغالبا مفيد، فقط

لمن يمارس العلاج ويستطيع أن يُعمل خياله ويتصور ما لم نذكره، وحتى تقديم بعض المقاطع من

الفيديو لا يمكن أن يوصل الرسالة التي احتوتها هذه النقاط ومثلها وغيرها.

ما العمل إذن؟

ماذا يجرى بالضبط، وكيف نرصده، وما هو العامل (أو العوامل) العلاجية (أو المغيرّة)

المسئولة عن تحريك الوعي، وتنشيط جدل النمو هكذا؟

رجعت إلى مقدمة هذا العمل وذكر ثبت المحتويات الممكنة، فوجدت أن الدور قد حان لتقديم

مقطعات من "مجموعة المواجهة" التي شاركت فيها، وكتبت ما وصلنى منها شعرا، منقصا بعض

المشاركين فيها، ثم قمت باستلهام هذا المتن الشعري في كتابي الذى نشر مسلسلا هنا في هذه النشرة

اليومية، بعنوان "فقه العلاقات البشرية"، قلت أن الأوان لأقتطف من هذا التكمص ما ينقل عمق ما

وصلنى، أكثر مما يصف آليات ما يجرى، فهذا هو المتاح إذا كنت أريد أن أوصل هذا العمق.

تأكدت أن هذه الفرصة قد أتاحت لى ما لم أكن أتصور الغوص إلى عمقه، لكنها نشرت فعلا في

كتاب كامل، لكن من غير المعقول أن أحشر أغلب هذا الكتاب في هذا العمل حشرا تحت عنوان

مقتطفات، لكن يبدو أنه لا سبيل إلا تحمل بعض التكرار، لأنه لا ضمان أن يكون قارئ هذا الكتاب قد قرأ الكتاب الأول، وإنى لأمل ألا يكون تكراراً حرفياً، وأن أنجح أن أقدم مقتطفات مختارة، وترابطات مفيدة، لشرح حركية الوعي، وبالذات حركية الدخول والخرج، وتشكيلات المقاومة، (مثل المثال الذي أوردناه في نشرة 2013/4/2: النقلة من العلاج الفردي إلى العلاج الجمعي)، دعونا نرى.

مؤقتاً:

برغم من كل هذا العجز السابق بيان أبعاده، فإن شيئاً ما شديد الوضوح يحدث، ويغيّر، ويفيد، ويعالج، وحين تتاح الفرصة أن نتحسس هذا الشيء مستعملين بعض آليات هذا العلاج يصلنا أن هذا "الشيء الـ ما" قد وصل إلى المرضى، وإلى المعالجين بيقين شديد، ولكن دون تحديد، ظهر ذلك جلياً كمثال، فيما سبقت الإشارة إليه في لعبتي "ياه...، دي طلعت صعبة بشااكل، ولكن" (أكمل)، ولعبة "لو كنت أعرف إن الموضوع كده، كنت ...". (أكمل).

وغداً قد نعرض نتائج إحدى هاتين اللعبتين أو كليهما

أو قد ننقل مباشرة إلى مقتطفات من "مجموعة المواجهة"

[1] - والتي يمكن أن تفسر ما آلت حال ما يسمى الحركات الثورية مؤخراً 2013 في مصر، والتي وجدت أن أدق وصف لوجهها السلبي هو ما قاله شوقي أثير البهتان فيه: وانطلق الزور عليه، ياله من بيغاء: عقله في أذنيه"

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"قراءة النص البشري من منظور تطوري انطلاقاً مما إدراك أ. د. يحيى الرخاوي"

الإصدار الفصلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المحاور)

خريف / شتاء 2013/2012

"في تجليات ماهو موت"

بروفيسور يحيى الرخاوي

مستند اكروبات

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

مستند مضغوط

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

*** **

للتسجيل في وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

إرسال غلب الخ بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوباً بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

كامل نشراته "الإنسان والتطور" (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

الانقباض الدافع معظم الوقت ثم تتماكد بالقصور الذاتك فلا وقت للاستجاب ولا وقت للملء، فأين الإيقاع الحيوي؟

فك العلاج الجمعي ينسلخ أحد شخص لأحد فترة بعيداً عن الوعي الجمعي فك عملية مراجعة، أو مقاومة، أو حتك استراحة، ويهود حين يستطيع أو يقرر أو ينكشه القائد أو أحد الزملاء، أو لا يهود